الفصل الثالث

الألفاظ المولّدة فى ضوء تطوّر اللغة

معنى التوليد فى الألفاظ ومصادره اللغوية

التوليد فى الألفاظ أحد المباحث المهمة فى علم المعنى ، فهناك مكانه الأصلى فى دراسة اللغة بمستويات متعددة منها مستوى الدلالة ، والتوليد يتعلق بالمعانى وتطورها واحتياجها إلى ألفاظ جديدة ، لكن النظر هنا إلى قضية « التوليد » تأتى أهميته من زاوية أخرى تتعلق بالألفاظ لا بالمعنى ، فإن هذه الألفاظ المولدة ذات مظاهر فيما يتعلق ببنية الكلمات من حيث الاشتقاق أو التعريب ، واستخدام صيغ صرفية خاصة ، ومن هذه الزاوية رأى علماء اللغة فى التوليد ظاهرة طارئة على اللغة ، وخضعت - بهذه الصفة - لموقف معين منهم يدخل هذا البحث عما طرأ على اللغة .

وينبغى فى هذه الفقرة بيان الأمور الثلاثة الآتية :

١ — عرض تاريخى مختصر للمولد من حيث استعمال اللفظ ، ودراسة العلماء لمظاهره

٢ — التحديد النظرى لمعنى التوليد كما رآه الأقدمون

٣ — مصادر التوليد فى الألفاظ ، وتقديم نماذج لها

اولا : لفظة « مولد » ودراسة العلماء لنماذجه

جاء فى أساس البلاغة : غلام مولد وجارية مولدة ، ولدت عند العرب ونشأت مع أولادهم ، وتأدبت بآدابهم ، ومن المجاز : ولدوا حديثاً وكلاماً ، استحدثوه ، وكلام مولد ، ليس من أصل لغتهم .

ويدل النص السابق على أن المولد قد يطلق على الأشخاص وعلى الكلام ونسبته إلى الأشخاص تعتمد على النسب والعنصر ، فمن كان نسبه عربياً خالصاً فهو عربى خالص ، ومن داخل نسبه عنصر أجنبى عن العرب فهو المولد ، ثم أصبح هذا اللفظ يطلق مجازا - كما قال الزمخشرى - على الكلام المحدث الذى ليس من أصل لغتهم .

ومن الواضح أن اللفظ أطلق أولا على الأشخاص الذين وجدوا بين العرب الخلص ثم اتسع استعماله فأطلق على الكلام المحدث الذى ليس من أصل لغة العرب ، وإنما هو كلام جديد شاع فى المجتمع العربى مع ازدياد مخالطة الأجانب، فكثر العنصر المولد ، وقل العنصر العربى الخالص النسب .

ذلك أن الأجانب وجدوا بين العرب فى الجاهلية ثم ازداد اختلاط العرب والأجانب فى الإسلام بفعل الدين الجديد والحروب والتجارة ، وفى القرن الأول شكل الإحساس بالخطر من هؤلاء الأجانب على العنصر العربى ولغته مشكلة، اشترك فى مقاومتها رجال الدولة الأموية وعلماء اللغة ، أما فى القرن الثانى فقد تطورت العلاقة بين العرب والأجانب، وكون الأخيرون عنصراً غالباً سيطر على الدولة ، وأصبحوا أشد تأثيراً فى اللغة ؛ مما ترتب عليه منع الاستشهاد بلغة الحضر بصورة نهائية ؛ لكثرة المولدين بين العرب وشيوع الكلام المولد فى حديث الناس عامة وخاصة .

ومن الصعب على الدارس أن يحدد بدقة متى بدأ استعمال لفظة «المولد» وكيف تطور هذا الاستعمال كما أشار إليه الزمخشري ، لقصور دراستنا في الحقل اللغوي التاريخي عن أداء هذه المهمة حتى اليوم ، وغاية مايستطيعه الدارس لذلك أن يلتقط بعض النصوص المتناثرة التي تفيد في تقريب ذلك .

وأول نص علمي قديم - فيما أعلم - عن المولد من الكلام ما رواه «ابن رشيق» منسوباً إلى أبي عمرو بن العلاء وهو :

« قال أبو عمرو : لقد أحسن هذا المولد ، حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته — يعني بذلك شعر جرير والفرزدق — فجعله مولداً بالإضافة إلى شعر الجاهليين والمخضرمين ، وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن ، فقد سبقوا إليه ، وما كان من قبيح ، فهو من عندهم ، ليس النمط واحداً ، ترى قطعة ديباج وقطعة مسح ، وقطعة نطع[1] .

فهذا اللفظ — إن لم يجانبني التوفيق — قد استعمل في نهاية القرن الأول أو بداية القرن الثاني مراداً به من اختلطت أنسابهم أو ما قيل من الكلام العربي في المجتمع العربي الذي كثر فيه هؤلاء المهجنون ، ثم اطرد استعمال هذه اللفظة في القرن الثاني مع وجود لفظة أخرى إلى جوارها هي لفظة «محدث» مرادا بها أيضاً الناس أو الكلام ، وهو معنى اللفظة الأولى.

أما قبل ذلك فلم يكن استعمال اللفظ «مولد» شائعاً بين الناس ولا العلماء والذي يصادفنا في الروايات العلمية عن القرن الأول الهجري ألفاظ أخرى قريبة الصلة بلفظة « المولد » مثل « الأعجمي والمولى والأجنبي » وهذه مناسبة للفترة التي شاعت فيها ، إذ لم يكن الأجانب قد تم اندماجهم بالعرب بالصورة

(١) انظر العمدة ١/٥٦ .

التى حدثت فى نهاية القرن الأول وبداية الثانى ، مما أنتج المولدين من الأشخاص والكلام .

وتتردد الكلمة بعد ذلك بكثرة بين علماء القرن الثانى والثالث ومن بعدهم — ولنتأمل النص التالى عن الأصمعى :

— روى أبو حاتم : قال الأصمعى: وعمر بن أبى ربيعة مولد وهو حجة سمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج فى النحو بشعره ، ويقول:هو حجة — وفضلة ابن شريك الأسدى وابن الرقيات هؤلاء مولدون ،وشعرهم حجة — ورأيته طعن فى الأقيشر ، ولم يلتفت إلى شعره ، وقال : لايقال إلا (رجل شرطى) قلت : قال الأقيشر :

إنمـــا يشرب من أموالنـا فاسألوا الشرطى ما هذا الغضب

قال : ذلك مولد[1] .

هذا . . . والحديث عن الاستشهاد بكلام المولدين يدخل ضمن الحديث عن الاستشهاد بكلام الموالى عامة — وليس هذا موضعه — أما الذى نحن بصدده فإنه يتعلق بظاهرة خاصة من كلام المولدين هى : الألفاظ التى ترد فى معاجم اللغة وكتب اللحن والتعريب ، ثم يحكم عليها بأنها « مولد » ولا يقتصر على ذلك فقط ، بل يتردد معه أحياناً القول بأنه ليس من كلام العرب وأنه خطأ — كما فى النموذجين التاليين .

— الكشخنة : مولد ، وليست بصحيحة .

---

(١) خولة الشعراء ص ٣٢ .

• النّحرير : ضد البليد ، وكان الأصمعى يقول : النّحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هى كلمة مولدة(١) .

فهذا النوع من الألفاظ التى يحكم عليها بأنها « مولد » مع الحكم عليها أحياناً بما يخرجها عن كلام العرب بل عن الصواب كلية هى موضع النظر هنا .

هذا . . ومن المفيد أن يعلم أن المولد من الألفاظ لم ينفرد فى الغالب الأعم بكتب لدراسته خاصة — عدا ما ذكر عن « كراع النمل المصرى » أنه ألف كتاباً فى المولد وهو مفقود — بل ذكرت أمثلته متناثرة بقلة فى معاجم اللغة ، وبكثرة نسبية فى كتب لحن العوام وكتب المعرب والدخيل ، ولعل ذلك يرجع إلى أن استقصاء ألفاظ التوليد مع تعدد مصادرها المتسعة — كما سيأتى — لا تحد ولا يحيط بها العد ، ولذلك اقتصر على ذكر المهم منها عرضاً فى الكتب التى تناولت بعض الظواهر اللغوية الخاصة الطارئة على اللغة كظاهرة اللحن والتعريب .

ثانيا : التحديد النظرى لمعنى التوليد فى آراء الأقدمين

— قال السيوطى : هو ما أحدثه المولدون الذين لا يحتج بكلامهم ، والفرق بينه وبين المصنوع أن المصنوع يورده صاحبه على أنه عربى فصيح ، وهذا بخلافه — وفى مختصر العين للزبيدى : المولد من الكلام المحدث — وفى ديوان الفارابى : يقال هذه عربية وهذه مولدة — قال فى الجمهرة : الحسبان الذى ترمى به هذه السهام الصغار مولد ، وقال : كان الأصمعى يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وهى كلمة مولدة ، وقال : الخم . القوصرة يجعل فيها التبن لتبيض فيها الدجاجة ، وهى مولدة (٢) .

---

(١) انظر : المعرب من الكلام الأعجمى ص ٢٨١ — ٢٣١ .

(٢) المزهر ١/٣٠٤ .

— أورد المحبي عن ثعلب أنه سئل عن التغيير فقال : هو كل شيء[١] مولد ، ثم قال : وهذا يقتضى أن كل لفظ كان عربى الأصل ، ثم غيرته العامة بهمز أو تركه أو تسكين أو تحريك ونحو ذلك مولد[٢] .

• وفى الطراز المذهب : هو ما أحدثه المولدون ، وقيل : كل لفظ عربى غيرته العامة[٣] .

• وفى الاشتقاق والتعريب : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام، وإنما استعمله المولدون ، وجروا عليه فى منثورهم ومنظومهم[٤] .

ويلاحظ على هذه التعريفات النظرية السابقة ما يلى :

١ — أن بداية الحديث عن ذلك نظرياً كان من علماء القرنين الثالث والرابع فى فترة المراجعة لكل ما تقدم من آراء متناثرة فى دراسة اللغة ، كما هو واضح فيمن ورد ذكره فى النصوص « ثعلب والزبيدى والفارابى اللغوى »

٢ — أن علماءنا الأقدمين — فيما يبدو — لم يتفقوا على اتجاه واحد فى تحديد معنى المولد ، فهو عند بعضهم : المحدث ، وعند الآخر : التغيير ، وعند ثالث : شيء عام ، إذ يقال هذه عربية ، وهذه مولدة ، وعند رابع : كل لفظ عربى غيرته العامة .

٣ — أن الألفاظ التى استعملت فى تعريف المولد ألفاظ فضفاضة

---

(١) مجالس ثعلب ص ٨٠١ .

(٢) قصد السبيل فيما فى اللغة العربية من الدخيل ص ١٧ .

(٣) الطراز المذهب فيما فى اللغة من المعرب ص ٨ .

(٤) الاشتقاق والتعريب ص ٦٢ .

عامة الدلالة ، وهى بذلك معرضة للأخذ والرد فيما يتعلق بالتحديد الحاسم للمولد من الألفاظ وغير المولد منها .

٤ — الذى يفهم من هذه الآراء كلها أنها تدور حول أمرين :

أولهما : أن المولد هو التغيير عامة سواء فى ذلك ما يشمل الألفاظ المحدثة مما لم يستعمله العرب — فى رأيهم — أصلا أو الألفاظ والتراكيب التى استعملها العرب ، ثم غيرت باستعمال المولدين والعوام — وهذا واضح فى رأى ثعلب (ت ٢٩١) الذى سئل عن التغيير فقال : هو كل شىء مولد .

وثانيهما : أن المولد هو المحدث من الألفاظ الذى لم يستعمله العرب ، فالألفاظ المولدة ألفاظ جديدة أحدثت بعد عصر الاستشهاد فى الحضر ، وهذا واضح فى رأى الزبيدى (ت ٣٨٠) الذى تابعه فيه السيوطى ،ووضح فكرته له .

وقبل هذين الرأيين يلاحظ أن جيل الأصمعى من العلماء لم يكن يعنيه التقعيد النظرى للمولد ، بل يحكم على الأمثلة من خلال علمه بكلام العرب ؛ إذ يقول الأصمعى — فيما نقله السيوطى — النحرير ليس من كلام العرب، وهى كلمة مولدة — ثم يتوقف .

وبعد هذين الرأيين نلاحظ أن اللغويين المقلدين فى العصر الحديث لا يخرجون عنهما ، إذ يورد صاحب الطراز المذهب — القرن الثانى عشر — كلا الرأيين دون تعليق ، كما يورد المغربى فى « الاشتقاق والتعريب » الرأى الأخير فقط ، فالمولد فى نظره : ما لم يعرفه أهل اللغة ولم ينطقوا به من الكلام ، وإنما استعمله المولدون وجروا عليه فى منثورهم ومنظومهم .

٥ — والذى فهمته من تلك الآراء النظرية ومن الأمثلة التى صادفتها عن الألفاظ المولدة والتعليق عليها ، أن الأمر قد تدرج كالآتى :

فى القرن الثانى وجه العلماء — كالأصمعى — همهم للتعليق على الأمثلة المتناثرة لبيان أنها مولدة ، وليست من كلام العرب ، كما وجه الاهتمام نفسه لأمثلة أخرى توصف باللحن أو التعريب .

وفى القرن الثالث ، فهم كل تغيير على أنه مولد ، نسبة للمولدين الذين لم يكونوا خالصى النسب ، وفى تلك الفترة وجه اهتمام لهذا التغيير بصورة عامة ، وخصوا باهتمامهم اللحن فى بنية الكلمات أو تأليف الكلام ، فشمل ذلك أيضاً التغيير الآخر الذى يأتى من إحداث ألفاظ جديدة ، وكثرت كتب اللحن فى القرن الثالث بما تتجه إليه أساساً من الخطأ فى الكلام العربى وبما تشمله أيضاً من الألفاظ المستحدثة على قلة ، ويشار إليها بلفظة «مولد» ومثل هذا الرأى نظرياً أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب .

وفى القرن الرابع خصص العلماء نظرياً المولد بأنه « الألفاظ المحدثة » وإن كان عملياً لم يخرج قبل ذلك عن هذا المفهوم لا فى القرن الثانى ولا فى القرن الثالث ، وإن دخل مع غيره تحت مفهوم « التغيير العام » فى القرن الثالث .

ومع كل ذلك ، فإن «المولد» من الألفاظ لم يلق عناية خاصة من العلماء توجه للتأليف فيه ، فبقيت أمثلته متناثرة بين كتب تناولت ظواهر لغوية متخصصة كاللحن أولا ، ثم التعريب ثانياً .

ثالثا : مصادر المولد والتمثيل له

تتلخص مصادر التوليد عن طريق ملاحظة كلماته فى الأمور الآتية :

١ — الارتجال بالاشتقاق .

٢ — التعريب بعد عصر الاحتجاج .

٣ — التحويل من المعنى اللغوى إلى معنى آخر مولد .

ومن الحق أولا أن يقال : إن الناس العاديين الذين استعملوا المولد لم يعرفوا اشتقاقا ولا غيره ، ولم يكونوا يقيسون الأمور بمقاييس الصرف وتقنين الكلام ، بل إنهم يمارسون الكلام دون بحث عما وراء ذلك ، وبملاحظة ظاهرة التوليد فى الألفاظ التى حدثت دون قصد يمكن تصنيفها فى الأمور الثلاثة السابقة .

فأما «الارتجال بالاشتقاق» فمعناه أن يشتق المولدون كلمة من مادة عربية يعرفها أهل اللسان ، لكنهم لم يعرفوا الكلمة المذكورة ، ولم يشتقوها ، فهى إذن كلمة جديدة على الكلام العربى المتوارث .

وإذا صح أن نذكر سمات معينة لذلك الذى تم عن طريق الاشتقاق فإنه يلاحظ فيه الآتى :

(ا) استخدام النواة الدلالية أو حروف الأصول ، فمثلا كلمة «فسقية» مولدة ، ومادة (ف.س.ق.) موجودة فى اللغة من قبل بمعنى : الخروج .

(ب) مجىء كلمات على الصيغ الصرفية ذات المعانى ، مثل كلمة (حرّار) لبائع الحرير ، فهى كلمة ـ كما يقول الخفاجى ـ مولدة ، وقد جاءت على صيغة (فعّال) التى تدل على النسبة ، لكن العرب لم يستعملوها من قبل .

(ج) استخدام حروف الزيادة ذات المعانى ، فالألف والنون مثلا تدل على المطاوعة ، ومن ذلك الكلمات المولدة (انكسار الضوء وانعكاسه)

(د) وسائل تعديل الصيغ فى اللغة العربية ، كالهمزة والتضعيف والتصغير ، ومن ذلك الكلمات المولدة (الإبراء والغرغرة والجديرى)

وقد لعب «التوليد بالاشتقاق» دوراً مهما بوسائله السابقة فى أسماء الفرق الدينية وآرائها ، كما يلاحظ من الكلمات الآتية :

الثنوية ـ القدرية ـ الشعوبية ـ الخوارج ـ المعطلة ـ الغلاة ـ المشبهة ـ المرجئة ـ التصوف ـ التشيع ـ الرافضة ـ الزندقة ـ وكذلك لعب دوراً مماثلا فى أسماء العلوم ومصطلحاتها .

أما «التعريب بعد عصر الاحتجاج» فيقصد به أن ينقل المولدون كلمة من لغة أجنبية إلى اللغة العربية ، وتختص باسم « مولدة » للتفرقة بينها وبين الكلمات التى عربها العرب أنفسهم .

من ذلك مثلا ـ كما يقول الجواليقى ـ كلمة (قطربل) فهى كلمة أعجمية وليس لها مثال فى كلام العرب ، ولا توجد فى الشعر القديم ، وإنما ذكرها المحدثون .

ومن ذلك ـ كما يقول الخفاجى ـ كلمة (شاش) معروف ، يلف على الرأس وبعد اللف يسمى عمامة ، وهو مولد منقول من اللغة الهندية .

أما « التحويل من المعنى اللغوى » فيقصد به أن يكون للكلمة معنى معين استعملت به عند العرب ، ثم حولها المولدون عن هذا المعنى إلى معنى آخر واستعملوها فيه .

ومن ذلك مثلا كلمة (منخطف اللون) لمن تغير لونه بسرعة ، فكأنه خطفه خاطف ، والعرب لم تقله ، وإنما ولده المولدون .

وإذا لوحظ أن هذا المصدر الأخير يتعلق بتطور معانى الكلمات ، وأن هذا التطور فى حركة دائبة لا تتوقف ، اتضح أن هذا المصدر من مصادر

التوليد يصعب إحصاء الكلمات الناتجة عنه ، ومع ذلك فقد أورد العلماء بعض نماذجه فيما ذكروه من نماذج التوليد المتناثرة .

وسأقدم هنا عشر كلمات من المولد فقط ، ومن كتاب واحد هو (شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل) مرتبة حسبما وردت فى ذلك الكتاب ، مع ذكر تعليق «الخفاجى» عليها، لربطها بعد ذلك بمصادر التوليد السابقة ، وهى .

١ — بطاقة : بمعنى رقعة صغيرة ، مولدة ، وجاء فى فقه اللغة . أنها معربة عن الرومية .

٢ — الجريدة : دفتر أرزاق الجيش فى الديوان ، وهو اسم مولد .

٣ — شراق : التشريق عند أهل مصر ألا تسقى الأرض بماء النيل والأرض يقال لها شراق ، هى مولدة ، مأخوذة من التشريق ، بمعنى التقديد لأنها متقددة .

٤ — طابق . قال : أطال الله بقاءك ، وهى مولدة .

٥ — فوّارة الماء : معروفة ، وهى مولدة ، قال الشريف العقيلى.

من حول فوارة مركبة قد انحنى ظهر مائها تعبا

٦ — فذلكة : لفظة مولدة ، سمعتها ، وعرفت معناها .

٧ — قصف : بمعنى اللهو ، استعمله المولدون فى أشعارهم ، وأصل معناه : كسر غصن صغير .

٨ — كيمياء : لغة مولدة من اليونانية، وأصل معناها: الحيلة والحذق .

٩ — ماهية : بمعنى الحقيقة ، نسبة إلى (ما هو ؟) مولدة ، لم تسمع .

١٠ — مقامة : مولدة محدثة ، لم تقع فى كلام أحد من المتقدمين ، لكن

لها وجه من المجاز ، حيث سموا ما يقام فى المجلس من حديث (مقامة)[1] .

وبملاحظة الكلمات العشر السابقة والتعليق عليها يتبين أنه يتمثل فيها مصادر التوليد الثلاثة السابقة كلها ، وقد يجتمع فى كلمة واحدة أكثر من مصدر واحد ، كما فى كلمة (شراقى) ففيها الاشتقاق والتحويل .

فالاشتقاق واضح فى الكلمات المولدة (شراقى ـ طابق ـ فوارة ـ فذلكة ماهية)

والتعريب واضح فى الكلمات المولدة (بطاقة ـ جريدة ـ كيمياء)

والتحويل عن المعنى بين فى الكلمتين (قصف ـ مقامة)

وليس ثمة داع ماس لتفصيل الكلام فى كل كلمة على حدة .

وبعد :

فقد تكفلت هذه الفقرة ببيان ما يتعلق بالتوليد من حيث معناه ومصادره الدراسية واللغوية .

أما ما يتعلق بنظرة علمائنا الأقدمين له من حيث القبول والرفض فهو موضوع الفقرة التالية إن شاء الله .

---

(١) انظر : « شفاء العليل فيما فى كلام العرب من الدخيل » الصفحات الآتية على التوالى: ٣٦ ، ٦٢ ، ١١٥ ، ١٢٩ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٦٧ ، ١٨٦ ، ١٨٩ .

نظرة النحاة للتوليد

قبل الحديث المباشر عن نظرة النحاة للمولد ينبغي التنبّه إلى الأمور الآتية :

أولا : التفريق بين المولدين والاستشهاد بشعرهم فى دراسة اللغة ومستوياتها المختلفة وبين ما نحن بصدده من الحكم على ظاهرة خاصة هى الألفاظ التى يعقب عليها بكلمة « مولد » أو « مولدة »

والأمر الأول موضعه الاستشهاد باللغة ، ويحتاج إلى تفصيل واسع خلاصته أن علماءنا الأقدمين قد نظروا إلى المولدين عموماً بشك وريبة ، وترتب على ذلك المبالغة فى التصون من كلامهم ، واعتمدوا فى هذا التصون على التحديد الزمنى الذى اختلف مداه بين التشدد التام والتسامح النسبي ، فأبو عمرو ابن العلاء كان لا يحتج ببيت إسلامى قط ، واشتهر عنه قوله « لقد أحسن هذا المولد حتى هممت أن آمر صبياننا بروايته ، يعنى بذلك شعر جرير والفرزدق » فالشعر الجاهلى وحده هو الجدير بالعناية والدراسة لديه ، وما عداه مرفوض ، أما الأصمعى وغالبية العلماء فقد تسامحوا نوعاً فى نظرتهم للتحديد الزمنى ، وعلى ما هو المشهور عنهم قبلوا ما جاء من مادة اللغة حتى حوالى منتصف القرن الثانى الهجرى تقريباً ، وشملت هذه الفترة بالطبع كثيراً من المولدين الذين روى العلماء شعرهم ، واعتبروه حجة ، كما يوضح ذلك النص الآتى :

« عن أبى حاتم عن الأصمعى قال : عمر بن أبى ربيعة مولد ، وهو حجة ، وسمعت أبا عمرو بن العلاء يحتج فى النحو بشعره ويقول . هو حجة .

وفضلة بن شريك الأسدى وابن الرقيات ، هؤلاء مولدون ، وشعرهم حجة[1] .

---

(١) فحولة الشعراء ، ص ٣٩ .

ثانيا : إن النظرة التى نرصدها هنا تتعلق بالألفاظ المولدة من حيث صيغها لا من حيث معانيها ، فقد قبلت الألفاظ المولدة من حيث المعنى ، لكنها رفضت من حيث النظرة اللغوية ، وترتب على ذلك أن تعتبر الكلمة فصيحة لكنها مرفوضة لغوياً ، لأنها مولدة ، وأن تدرس فى الأدب ، لتعبيرها عن المعنى ، لكنها تعارض فى دراسة اللغة ، لأنها ليست من كلام العرب .

* كان الأصمعى يقول : النحرير ليس من كلام العرب ، وإنما هى مولدة ، وقد جاء فى الشعر الفصيح ، قال الأسود بن يعفر :

يوم لا ينفع الرواغ ولا يقدم إلا المشيع النحرير[1]

* وقال ابن جنى : المعانى يتناهبها المولدون كما يتناهبها المقدمون[2] .

ثالثاً : إن نظرة علمائنا الأقدمين للمولدين من حيث القبول والرفض لم ترد عنهم - فيما أعلم - بصراحة وحسم ، وبعبارة أخرى : لم يدرس التوليد فى الألفاظ - حتى عند المتأخرين - باعتباره موضوعاً متكاملا يتبين منه موقفهم المباشر منه ، والذى جاء عنهم فى ذلك الموضوع تعليقات قصيرة متفرقة على بعض الأمثلة المتناثرة التى تذكر فى المعاجم أو كتب اللحن والتعريب .

لذلك ، فإن رصد موقفهم من الألفاظ المولدة يعتمد على هذه التعليقات وتجميعها — وقد تبين منها أنهم حكموا عليه بالآتى :

١ — الألفاظ المولدة ليست من كلام العرب

٢ — بعض الألفاظ المولدة خطأ

---

(١) المعرب من الكلام الأعجمى ص ٣٣١ .

(٢) الخصائص ج ١ ص ٢٤ .

وينبغى تقديم نماذج تثبت هاتين الفكرتين أولا ، لمعرفة المستوى الصوابى لنظرتهم أخيراً .

وقبل عرض هذه النماذج ينبغى أيضاً التنبه إلى أن معظم أمثلة المولد مسكوت عن التعليق عليه فيما يختص بالفكرتين السابقتين ، وهذا المسكوت عنه لا يثبت حكما ولا ينفيه ، إذ يقتصر وروده على أنه مولد فقط ، وعرض أمثلة منه أمر سهل ، ولكنها لا تفيد كثيراً فى معرفة نظرة العلماء إليه ، ولذا كان من الأفضل الاقتصار على إيراد نماذج من الأمثلة التى ذكرت معها آراء العلماء حول الفكرتين السابقتين لإثباتهما .

المجموعة الأولى

١ — قول العامة : هم فعلت مكان أيضا ، وبس مكان حسب ، وله بخت مكان حظ ، كله مولد ، ليس من كلام العرب(١) .

٢ — أطراف : جمع (طرف) بالسكون مولد ، وإنما هو جمع (طرف) بالفتح .

٣ — قال الخليل : الطرف لا يثنى ولا يجمع ، لأنه مصدر (طرف) إذا حرك طرفه ، وفى الفائق . أنه لم يرد به سماع(٢) .

٢ — التشويش : شوش بمعنى خلط ، وأجمع أهل اللغة على أن التشويش لا أصل له فى العربية ، وأنه من كلام المولدين(٣) .

٤ — الأنانية : هى اختراع محض لا أصل لها(٤) .

---

(١) ذيل الفصيح ، ص ١١٦ .

(٢،٣) شفاء العليل ص ١٤ — ١٥ .

(٤) التنبيه على غلط الجاهل والنبيه ، ص ١٢ .

فالعبارات التي وردت مع هذه الأمثلة بعد الحكم عليها بأنها «مولد» هي « ليس من كلام العرب » و « لم يرد به سماع » و « لا أصل له في العربية » و « اختراع محض لا أصل لها » يفهم منها أن كلام العرب صاحب الأصل الذي ورد به السماع قد استند تحديده على عرف علمي اعتمد على زمن محدد في الحضر ، وأن هذا الزمن الذي امتد إلى حوالي منتصف القرن الثاني الهجري على ـ ما هو المشهور ـ قد وقف حاجزاً علمياً يجعل ما وراءه من كلام العرب، وما يأتي بعد ذلك ليس من كلامهم، وهو اختراع محض لا أصل له .

المجموعة الثانية

ـ الطرش : ليس بعربي محض ، بل هو من كلام المولدين ، وهو بمنزلة الصمم عندهم[١] ، قال أبو حاتم : لم يرضوا باللكنة حتى صرفوا له فعلا ، فقالوا : طرش يطرش طرشا .

٢ ـ الكشخنة : مولدة ، وليست بصحيحة[٢] .

٣ ـ وتقول : (هذا جواب كثير)

قال العسكري : والعامة تقول في جمع الجواب جوابات وأجوبة ، وهو خطأ لأن الجواب مثل الذهاب .

وقال سيبويه : الجواب لا يجمع ، وقولهم : جوابات كثير وأجوبة كثير مولد ، وإنما يقال : جواب كثير[٣] .

٤ ـ وتقول : شوشت الشيء إذا خلطته ، فأما التشويش فأجمع أهل اللغة أنه لا أصل له في العربية ، وأنه مولد ، وخطأوا الليث فيه[٤] .

(١، ٢) المعرب من الكلام الأعجمي ص ٢٢٤ ـ ٣٨١ .

(٣) تقويم اللسان ورقة ١١ .

(٤) ذيل الفصيح ص ١٠٨ .

٥ ـ انحفظ وانقرأ وانكتب : مستحدث ، استحدثه المولدون مما لا يعتد بوجوده ولا يعبأ بكونه[1] .

فقد وصفت الكلمات المولدة السابقة باللكنة أو عدم الصحة أو الخطأ، أو أنها مما لا يعتد بوجوده ولا يعبأ بكونه ، وكلها تدور حول معنى الرفض والتخطئة ـ والدارس فى ذلك أمام احتمالين :

أولهما : أن الحكم بالتخطئة على بعض الألفاظ المولدة خاص بتلك الألفاظ وحدها ، ويترتب على ذلك أمر آخر هو : أن من الألفاظ المولدة ما هو خطأ كالنماذج السابقة ، وما هو صحيح ، وهو ما لم يصرح بشىء عنه .

وثانيهما : أن الحكم على بعض نماذج المولد بالخطأ ينصب أيضا على المسكوت عنه ، مع تخصيص المقصود من الخطأ فى عرف علماء اللغة بأنه الخطأ الذى يخرج المولد به عن كلام العرب الذى يصح الاحتجاج به ، وإن كان المولد بذلك الاعتبار لا يخرج عن صحة الاستعمال فى التعبير عن المعانى عند المتأخرين .

وليس لدى من الأدلة الحاسمة ما أرجح به أحد الاحتمالين ، وإن كنت أميل إلى الاحتمال الثانى اعتماداً على أن علماءنا قد أخرجوا المولد من الكلام العربى فى تعريفهم النظري له ، وفى نصهم على ذلك فى بعض أمثلته ، ولما هو معروف عنهم من اعتمادهم على التحديد الزمنى الذى بمقتضاه رفض ما جاء بعد ذلك من الظواهر اللغوية الجديدة ومنها المولد .

---

(١) سهم الألحاظ فى وهم الألفاظ ورقة ٥ .

أخـــيراً

نتساءل عن الأساس الذى وجه نظرتهم للمولد من الألفاظ فأخرجوه بهعن كلام العرب وحكموا على بعضه بخطأ الاستخدام فى دراسة اللغة ، إنه باختصار (التحديد الزمنى المعتمد على عرف العلماء لا الاستعمال اللغوى المعتمد على عرف المتكلمين) هذا هو الأساس ! ! .

أما مدى توفيقهم فيه ، فله موضع آخر فى الفقرة التالية إن شاء الله .

الألفاظ المولدة فى ضوء تطور اللغة

اختلف موقف علمائنا من الألفاظ المولدة بين الاعتراف بفصاحتها ورفض الاستشهاد بها أو الاعتراف بمعانيها واستخدامها فى الأدب والانصراف عن بنيتها ودراستها فى اللغة ، مما قرره ابن جنى نصاً بقوله : « يستشهد بشعر المولدين فى المعانى ، كما يستشهد بشعر العرب فى الألفاظ » وقد اتخذ تقييد عصر الاستشهاد وعدم الاعتراف بتطور اللغة الأساس الذى ركن إليه الأقدمون فى إخراج هذه الثروة الجديدة من الألفاظ عن كلام العرب ، وعدم السماح لها بالدخول إلى الدراسة ، وبقيت حتى اليوم مشتتة تائهة فى مصادر اللحن والتعريب والمعاجم ، موسومة بتلك السمة العنصرية « مولدة » فما الرأى فى هذا الموضوع من وجهة النظر الحديثة ؟ ! يتضح ذلك ببيان الآتى :

(ا) الألفاظ المولدة مظهر لتطور اللغة

(ب) الرأى فى موقف النحاة من هذه الألفاظ الجديدة .

إن تأمل المصادر اللغوية لتوليد الألفاظ من « الارتجال بالاشتقاق والتعريب بعد عصر الاستشهاد وتطور دلالة الألفاظ » — سبق عرضها فى الفقرة الأولى — يتضح منه ما نحن بصدده من حاجة الناطقين بالعربية إلى الألفاظ الجديدة واللجوء فى ذلك إلى وجوه مشروعة — وإن كانت غير متعمدة — لسد حاجتهم منها ، وتغير الظروف الاجتماعية الدائم ينعكس تأثيره على اللغة واستعمالها ، فتنزوى ألفاظ لم يعد ثمة حاجة إليها ، وتجدّ أخرى فى الاستعمال لدواعى الظروف الجديدة إليها ، ويتم كل ذلك بطريقة تلقائية

مستمرة ، تماماً كما يتم التغيير فى كل المظاهر الاجتماعية الأخرى .

والباحث فى اللغة — من وجهة النظر الحديثة — يعترف بالتطور باعتباره مظهراً اجتماعياً يحدث للغة كما يحدث لغيرها ، وينظر إليه بهذا الاعتبار ، فيلاحظه ويصفه ، ويصل من ذلك إلى معرفة ما جد من عناصر التطور فى مرحلة من مراحل اللغة عن مرحلة أخرى ، وليس من عمل الباحث أن يقف بدراسته عند فترة معينة ، يحتفى بلغتها ، ويرفض غيرها ، معتقداً أن ما احتفى به هو الصحيح الجدير بالدراسة ، وأن غيره مما لم يسر على نهجه مخالفات ينبغى وسمها بهذه الصفة ، فهى مخالفات حقاً إذا وضعت فى ضوء مسلك اللغة فى مرحلة سابقة ، لكنها بالقياس إلى عصرها ذات قيمة متميزة لا تقل فى تمثل المستوى الصوابى له عن غيرها من العصور .

وعلى ذلك ، فإن موقف النحاة من الألفاظ المولدة قد تحكمت فيه اعتبارات سلموا بها ، ثم استسلموا لها ، وهى اعتبارات تعود إليهم ، من تنصيب أنفسهم سلطة تبيح وتمنع ، مع أن عملهم الحقيق هو الوصف والاستقراء ، كما تعود إلى تعلقهم بربط اللغة المثالية بعصر خاص ، مع أن واقع الأمر أنها ترتبط بالاستعمال وحاجات المجتمع فى كل عصر على انفراد ، وينبغى النظر إليها بهذه الصفة بدون تفضيل عصر على عصر آخر بالقبول والرفض ، وهى أخيراً ترتبط بفكرة الربط بين نقاء العنصر ونقاء اللغة ، فقد وثقوا الأعراب بعد وقف الاستشهاد بالحضر حتى القرن الرابع ، ورفضوا الاعتماد على المولدين فى هذا العصر نفسه ، فكل هذه الاعتبارات غير مقنعة لغوياً ، وقد وجهت نظرتهم فى رفض الألفاظ المولدة .

● يقول برجشتراسر : الذى منع علماء الشرق — مع بذل الجهد العجيب فى درس اللغة العربية من جهة الصرف والنحو ومن جهة المفردات — عن

الاعتناء الكافى بالكشف عن تطور اللغة بعد الإسلام سببان مرتبطان أحدهما بالآخر :

أولهما : مداومتهم على السؤال عن الجائز فى اللغة وضده ، وعلى المنع عن كثير من العبارات ، وهذا وإن كان واجباً نافعاً ، فهو عمل المعلم لا العالم ، فالعالم يفحص عما يكون فى الحقيقة لا عما كان ينبغى أن يكون ، والمعلم لا يظن أن تعليمه أقوى من الحياة ، فإن نسى هذه النصيحة واجتهد أن يقهر حياة اللغة ويعوقها ، جازته وغفلت عن تعليمه ، فيتسع إذن الشق الحاجز بين اللغة الحقيقية الحية وبين ما يعلمه النحويون ، كما نشاهد ذلك فى تاريخ اللغة العربية .

والسبب الثانى : اعتقاد علماء الشرق أن أكمل ما كانت عليه اللغة العربية وأتقنه وأحسنه ما يوجد فى الشعر القديم ، وهذا حكم غير علمى[1] .

أجل . . هذا حكم غير علمى ، يتجاوز موقف العلم إلى موقف التعليم ويحاول قهر حياة اللغة والتغافل عن تطورها ، فتجوزه وتغفل عن تعاليمه ولا تعترف فى سيرها المستمر بما اعتنقه النحاة عن عصر آخر من الكمال والإتقان والحسن ، وهذا الحكم غير العلمى هو الذى طبقه النحاة على المولد من الألفاظ لغوياً ، وهو الذى يفسر تلك المفارقة التى وردت عنهم فى الاعتراف بفصاحة المولد دون حجيته فى الاستشهاد ، والاعتراف بمعانيه دون صيغه ، واستخدامه فى الأدب دون دراسة اللغة . . أليس هذا غريباً !!

---

(١) التطور النحوى ص ١٣٧ .

إن واجبنا الآن أن نرد لما أطلق عليه النحاة « المولد » قيمته اللغوية باعتباره جانبا مهما من مظاهر تطور الفصحى ، وسبيلنا لذلك جمع شتاته من مصادره مرتبة بحسب عصور الفصحى، ثم استقراء بنية الكلمات فيه، لمعرفة ما جد من تطور على مسلك الصيغ العربية بسببه ، مع إباحة مصادر التوليد الغنية فى استخدام كلمات جديدة فى وقتنا الحاضر ، كما اعترف الأقدمون أنفسهم بذلك فى المعانى ودراسة الأدب ، فسارت دراستهم فى طريق طبيعى مفيد ، لم يتح مثله لدراسة اللغة حتى اليوم .